(٢)

الدواوين والوزارة

مراكزها في العهود العباسية .

الادارة هي الوسيلة التي تعتمد عليها الدولة في السيطرة على رعاياها وتنظيمهم وتقدمهم ، وهي بدورها تقوم على النظم والاساليب المستقرة ، وعلى الموظفين المتفهمين لهذه الاساليب والقائمين بتطبيقها ، وكذلك على السجلات التي تدون فيها المعلومات التي تقتضيها الادارة . ويطلق على الاماكن التي تحفظ فيها السجلات وتقوم فيها الاعمال المتعلقة بها « الديوان » وهو تعبير فارسي تظهر فارسيته انه يرجع الى عهود ما قبل الاسلام .

وقد حرص المسلمون منذ الفتح الاسلامي على ابقاء الدواوين وتنظيمها وحفظ سجلاتها فلما ولي العباسيون الخلافة زادت عنايتهم بالدواوين وتنظيمها ، وفي السجلات وحفظها وفي الكتاب وتنظيمهم ، وكان الوزير هو المسؤول الاول عن الاشراف عليها .

ومن المعلوم ان عدد الدواوين وحجم كل منها واختصاصه وعلاقته بالدواوين الاخرى لم يبق ثابتا ، بل تعرض الى تطورات كثيرة ، غير ان معلوماتنا عن تطوراتها غير كاملة بالرغم من العدد الكبير من المؤلفات العربية القديمة فيها ، وكثرة الاشارات اليها في الكتب ، وبالرغم من الدراسات الحديثة العميقة عنها . غير انه من المؤكد ان الدواوين في العصر العباسي كان بعضها مقتصرا على الخليفة والبلاط ، وبعضها يتصل عمله بالناس عموما ، كما ان بعضها يقتصر عمله على بغداد وحدها ، وبعضها يمتد عمله الى كل العراق ، وبعضها يتصل عمله باقاليم بعيدة عن بغداد او يعم عمله الدولة كلها .

ولا ريب في ان اهم الدواوين هما ديوان الخراج وديوان الجيش ، فأما الاول فيشرف على جباية الخراج الذي كان المصدر الرئيس لدخل الدولة ، بينما ينظم ديوان الجيش السجلات المتعلقة بمصروفات الجند ، وهي اهم باب في مصروفات الدولة انذاك .

وكانت السجلات الرئيسة تكتب على الجلود ، حتى عصر الرشيد حيث صارت ، او بعضها تكتب على الورق الذي اخذ ينتشر استعماله في العالم الاسلامي ، وقد حرصت الدولة على حفظ السجلات في الدواوين نظرا لاهميتها ، واحتفظت بالسجلات القديمة المدون فيها ما يتعلق بالعصر الاموي ، فيروى الطبري ان خلافا حدث على ملكية قرية في خلافة المهدي ، « فامر المهدي وزيره ابا عبيد الله ان يخرج ذكرها من الديوان العتيق »(٢٤١) .

ولما عزم المعتضد على اخراج المكتفي الى الجبل ومعه عبيدالله بن سليمان « قال عبيد الله لابي العباس بن الفرات اريد كاتبا يصحبني ويتصفح اعمال كل بلد يفتحه ويقرر معاملاته على ما يدل عليه الديوان القديم من رسومه ، فقال ذلك محمد بن داود واليه من ديوان الدار مجلس ما فتح من اعمال المشرق وفيه الحسبانات العتيقة »(٢٤٢) .

وبالرغم من كثرة الاضطرابات التي اجتاحت بغداد ، فان سجلات الدواوين ظلت فيها بمنجاة من الدمار ، اذ لم يسجل المؤرخون الا ثلاثة احداث

---

(٢٤١) الطبري ٣/٥٣٤ .

(٢٤٢) الوزراء للصابي ١٤٨ ــ ٩ .

أحترقت فيها السجلات فأما أولاها ففي فتنة الامين سنة ١٩٨ حيث « احترقت الدواوين »(٢٤٣) .

وفي سنة ٣١٦ حيث يقول حمزة الاصفهاني « ورد بغداد اهل قصر بن هبيرة ، فضجوا من الاسواق ، واستنفروا الناس ومنعوهم من فتح حوانيتهم ، فانضم اليهم الخلق من العامة ، فمضوا الى المستغل الذي بازاء مجلس السلطان واحرقوه ، وهذه مراقبة كانت هناك ... وعدلوا من هناك الى ديوان بادوريا فاحرقوا ما كان فيه من الحسبانات من لدن صدر الدولة الخليفة وعدلوا الى باب السلطان يضجون ويبكون »(٢٤٤) ولم اجد في المصادر الاخرى ذكرا لهذا الحادث رغم ما ذكر من اضطرابات في بغداد وما حولها في تلك السنة والسنة التي تلتها .

وفي سنة ٣٨٩ « احرق العامة دار الحمولي فمضت باسرها ولم يبق فيها جدار قائم ، واحترق ما كان فيها من حسبانات الدواوين »(٢٤٥) وقد حدثت هذه الحادثة على اثر محاولة ابي نصر سابور وضع العشر على ما يعمل من الثياب الابريسمات والقطنيات بمدينة السلام فثار اهل العتابيين وباب الشام من ذلك ثم « صاروا الى دار ابي نصر سابور بدرب الديزج ، فمنعهم احداث العلويين منها ، وخرجوا من درب الديزج الى دجلة ، وطلبوا من جرى رسمه بالكون في دار الحمولي من الكتاب والمتصرفين فهربوا من بين ايديهم ، وطرحوا النار في الدار ، واهمل اطفاؤها ، فاتت على جميعها »(٢٤٦) .

اما سجلات القضاء فيذكر ابن الجوزي انه في سنة ٤٥٠ عندما نشب الخلاف بين الخليفة والبساسيري أضطربت بغداد « ونهبت دار قاضي القضاة ابي عبدالله الدامغاني وهلك اكثر السجلات والكتب الحكمية فبيعت على العطارين »(٢٤٧) ولا نعلم هل كانت السجلات والكتب الحكمية قد وضعت في دار الدامغاني مؤقتا ، ام انه كانت التقاليد ان توضع في دار قاضي القضاة ، وفي هذه الحالة فهل ان كل السجلات ام بعضها كان يوضع ، ومن الطبيعي ان هذا يقتضي نقل السجلات الى دار قاضي القضاة الجديد عند تعيينه .

ان المصدرين الاساسيين اللذين حوى كل منهما اوسع المعلومات عن خطط بغداد هما الخطيب البغدادي ، واحمد بن واضح اليعقوبي . فاما الخطيب فانه لم يذكر عن موقع دواوين بغداد في عهد المنصور سوى اشارة عرضية جاءت عند كلامه عن توسيع مسجد المنصور حيث قال «وكانت الصلاة في الصحن العتيق الذي هو الجامع حتى زيد فيه الدار المعروفة بالقطان ، وكانت قديما ديوانا للمنصور ، فامر مفلح التركي ببنائها على يد صاحبه القطان ، فنسبت اليه وجعلت مصلى للناس ، وذلك في سنة ستين او واحد وستين ومائتين»(٢٤٨) ويفهم من هذا النص ان الديوان كان ملاصقا لمسجد المنصور وانه الغى في وقت مبكر فصار دارا للقطان صاحب مفلح الذي يذكر الطبري انه ولي خراج الموصل ، ثم قتل في طريق عودته منها سنة ٢٦٢(٢٤٩) ولابد ان هذه الدار كانت في الاصل احد الدواوين الكبيرة في زمن المنصور ، غير انها اصبحت جزءا من الجامع فيذكر ابن الجوزي انه « قرأ ابو عبدالله البهلول يوما في دار القطان في الجامع بعد الصلاة يوم الجمعة »(٢٥٠) .

اما اليعقوبي فقد قدم تفاصيل أوفى عن دواوين المنصور وموقعها حيث انه بعد ان ذكر قصر المنصور والرحبة التي حوله قال « وحول الرحبة كما تدور منازل اولاد المنصور الاصاغر ومن يقرب من خدمته من عبيده ، وبيت المال ، وخزانة السلاح ، وديوان الرسائل ، وديوان الخراج ، وديوان الخاتم ، وديوان الجند ، وديوان الحوائج ، وديوان الاحشام ، ومطبخ العامة ، وديوان النفقات »(٢٥١) . ويلاحظ ان معظم هذه الدواوين تتصل بالخليفة شخصيا ، غير ان

---

(٢٤٣) كتاب الخراج لقدامة ٢٣٧ رسوم دار الخلافة ٢٩ ، ٣٩ .
(٢٤٤) تاريخ سنى ملوك الارض والانبياء ٥٥ .
(٢٤٥) تاريخ هلال المنشور بذيل تجارب الامم ٣٣٥/٣ .
(٢٤٦) كذلك ٣٣٦/٣ .
وقد ورد في المصادر شخصان يلقبان حمولي ، اولاهما ابو علي احمد بن موسى صاحب معز الدولة (نشوار المحاضرة ٣٠٩/١ طبعة الشالجي) وقد ارسله معز الدولة سنة ٣٥٢ الى الوزير المهلبي عندما سمع بمرضه من عمان (مسكويه ١٩٧/٢) واما الثاني فهو ابو الحسن علي بن موسى حمولي الذي نقب على ابي الحسن بن ابي الطيب وولده من الطالبيين (المنتظم ٢٣/٧) ، وقد ذكر بوسه ان قصر عضد الدولة في المخرم قرب الديوان ويعرف بقصر حمولي (الخلافة والسلطنة ١٩٧ (بالالمانية) ولم يذكر بوسه مصدره ، كما لم اجد في الكتب العربية التي قراتها اشارة الى ذلك .

(٢٤٧) المنتظم ١٩٢/٨ .
(٢٤٨) الخطيب ١٠٨/١ .
(٢٤٩) الطبري ١٩٠٧/٣ .
(٢٥٠) المنتظم ٢٢٨/٧ .
(٢٥١) البلدان ٢٤٠ .

بعضها كبيت المال ، وديوان الخراج ، وديوان الجند تتصل اعمالها بالناس .

وذكر اليعقوبي بعض الدواوين خارج المدينة المدورة ، فقد ذكر ان المنصور « اقطع المهاجرين عمرو صاحب ديوان الصدقات في الرحبة التي تجاه باب الكوفة ، فهناك ديوان الصدقات ، وبازائه قطيعة ياسين صاحب النجائب وخان النجائب »(٢٥٢) . وقد ذكر ديوان للصدقات في العصر الاموي ، ثم اختفى ذكره في العصر العباسي ، ولعل عمله يتعلق بالضرائب المحلية المفروضة على اهل بغداد ، وان دواوين اخرى حلت محله في عملها .

ان النص الانف الذكر يظهر ان احد الدواوين كان يقع قرب قطاع صاحبه ، غير ان هذا لم يكن قاعدة عامة ، فقد ذكر اليعقوبي قطائع لاصحاب بعض الدواوين التي ذكر موقعها حول الرحبة ، ومن ذلك « ربض ابي الورد كوثر بن اليمان خازن بيت المال » وموقعه قرب القنطرة العتيقة(٢٥٣) و « قطيعة سليم مولى امير المؤمنين باب الكوفة في الشارع الاعظم » كما ذكر « قصر وضاح صاحب خزانة السلاح » كما ذكر « مسجد الانباريين كتاب ديوان الخراج » وموقعه قرب مسجد ابن رغبان(٢٥٤) .

ولما ولى المهدي الخلافة اتخذ مقامه في الجانب الشرقي ، في الرصافة اولا ثم في عيساباد التي اتخذها ابنه وخلفه موسى الهادي ايضا . وقد رافق انتقال الخليفة الى الرصافة نقل الديوان اليها ، فيذكر الطبري ان عيسى بن موسى عندما فاوضه المهدي على عزله من ولاية العهد في سنة ١٦٠ « بقى (عيسى) منذ فاوضه المهدي على الخلع الى ان اجاب محتسبا عنده في دار الديوان من الرصافة الى ان صار الى الرضا بالخلع والتسليم »(٢٥٥) .

وقد تردد من المصادر ذكر درب الديوان « بالجانب الشرقي بالقرب من جامع المهدي »(٢٥٦) وانه كان في الرصافة(٢٥٧) وكان عند بابه مسجد(٢٥٨) . وذكرت المصادر ممن سكن في هذا الدرب محمد بن علي بن بكر ابن العلاف وبجواره ابو القاسم بن بشران(٢٥٩) ومحمد بن عمر بن بكر النجار(٢٦٠) وأبو القاسم عبد الملك بن محمد(٢٦١) وعبد الخالق بن عيسى الهاشمي(٢٦٢) وابراهيم بن الحسين الخزان الذي كان اول من لقن ابا الوفاء بن عقيل القرآن(٢٦٣) .

ومن الواضح ان هذا الدرب سمي درب الديوان لانه كان يوصل الى الديوان ، أي ان الديوان كان في الجانب الشرقي بالرصافة وبالقرب من جامع المهدي ، ويدل نص الطبري على ان الديوان كان في الرصافة في اول سني خلافة المهدي ، غير اننا لا نعلم كم من الزمن بقى الديوان في هذا المكان ، خاصة وان المهدي نفسه نقل مقره الى عيساباد ، كما ان الرشيد والامين اتخذا مقامهما في الجانب الغربي .

ذكر اليعقوبي قطائع عدد غير قليل ممن ولى بعض الدواوين في خلافتي المهدي والهادي ، وكلها في الجانب الشرقي . فمما ذكر « قطيعة ابان بن صدقة الكاتب » و « قطيعة سلمة الوصيف صاحب خزانة سلاح المهدي» و « قطيعة ثابت بن موسى الكاتب على خراج الكوفة وما سقى الفرات » و « قطيعة عبدالله بن زياد بن ابي ليلى الخثعمي الكاتب على ديوان الحجاز والموصل والجزيرة وارمينيه واذربيجان » و « قطيعة عبدالله بن محمد بن صفوان القاضي » و « قطيعة سلام مولى المهدي بالمخرم وكان يلي المظالم » و « قطيعة نازي مولى امير المؤمنين صاحب الدواب واصطبل نازي »(٢٦٤) ان مواقع هذه القطائع في الجانب الشرقي قد تضيف دليلا على ان الدواوين نقلت الى الجانب الشرقي قريبا من قطائع ولاتها ومن مقام الخليفة .

اما الرشيد فقد اتخذ مقامه في بغداد بالجانب الغربي حيث كان يسكن الخلد(٢٦٥) . ومع انه لا توجد اشارة الى مكان الدواوين في زمنه ، الا ان الارجح انها جعلت في الجانب الغربي ، ومما يؤيد ذلك ان عددا من ولاة الدواوين في زمن الرشيد كانوا يسكنون الجانب الغربي ، فيذكر الخطيب « واما مسجد الانباريين فينسب اليهم لكثرة من سكنه منهم ، واقدم من سكنه منهم زياد القندي ،

(٢٥٢) كذلك ٢٤٣ .
(٢٥٣) كذلك ٢٤٤ .
(٢٥٤) كذلك ٢٤٥ .
(٢٥٥) الطبري ٤٧٢/٣ .
(٢٥٦) الخطيب ٤٣٣/١٠ المنتظم ١٠٢/٧ .
(٢٥٧) المنتظم ٣١٦/٨ ، ٩٨/٩ .
(٢٥٨) المنتظم ٣١٦/٨ .
(٢٥٩) الخطيب ١٠٤/٣ .

(٢٦٠) الخطيب ٣٩/٣ .
(٢٦١) المنتظم ١٠٢/٧ .
(٢٦٢) المنتظم ٣١٦/٨ .
(٢٦٣) المنتظم ٩٨/٩ .
(٢٦٤) البلدان ٢٥٢ – ٣ .
(٢٦٥) لقد بحثت مقام الخلفاء وتنقلهم في مقالي « قصور الخلفاء ومنازلهم في العهود العباسية الاولى » المنشور في سومر (؟) .

وكان يتصرف في أيام الرشيد ، وكان الرشيد ولى ابا وكيع ، الجراح بن حكيم ، بيت المال ، فاستخلف زيادا ، وكان زياد من الغالية ، فاختان هو وجماعة من الكتاب ، واقتطعوا من بيت المال»(٢٦٦) ويقول اليعقوبي في وصفه قطائع تلك المنطقة « ومسجد الانباريين كتّاب ديوان الخراج »(٢٦٧) ويلاحظ ايضا ان الخطيب يذكر ان منازل البرامكة كانت بالقرب من قطيعة الانصار »(٢٦٨) وهذه القطيعة تقع في هذه المنطقة ايضا . ومن الصعب ان نتصور ان كتاب الخراج في زمن الرشيد يقيمون في جنوبي المدينة المدورة ، في حين ان الديوان وهو محل عملهم ، يقع في الجانب الشرقي .

والراجح ان الدواوين ظلت في الجانب الغربي من خلافة الامين الذي كان مقامه في ذلك الجانب .

ولما قتل الامين ، ارسل المأمون الحسن بن سهل والياً على بغداد ، وكان فيما يظهر يقيم في القصر الحسني الذي اصبح مقر الخلفاء بعد عودتهم من سامراء ، وقد اقام المأمون في هذا القصر ، ثم في قصر المأمون بقربه ، ولا نعلم مكان الدواوين في زمن المأمون .

وفي اوائل خلافة المعتصم بنيت سامرا وانتقل اليها الخليفة ، واصبحت دار الخلافة لسبعة خلفاء متتابعين ، ويبدو ان الدواوين الرئيسة في الدولة نقلت الى سامراء ، حيث يذكر اليعقوبي الذي يعتبر كتابه اوسع ما وصلنا عن سامراء ، ان ديوان الخراج الاعظم كان في الشارع الكبير المسمى بالسريجة(٢٦٩) ، وان الخزائن الخاصة قرب دار العامة(٢٧٠) ، اما المتوكل فانه لما بنى مدينته في شمالي سامرا نقل اليها « ديوان الخراج ، وديوان الضياع ، وديوان الزمام ، وديوان الجند والشاكرية ، وديوان الموالي والغلمان ، وديوان البريد ، وجميع الدواوين »(٢٧١) .

ولما عاد الخلفاء العباسيون الى بغداد بنى المعتضد قصر الثريا واتخذه مقرا له قبل ان يبنى التاج ، ويبدو انه جعل الدواوين في الثريا ، فيروى الصابي عن ابي القاسم ابن الزنجي الذي يروى عن عمه ابي الطيب احمد بن اسماعيل الذي قال « مضيت في يوم من الايام على الرسم الى الديوان بالثريا »(٢٧٢) .

يذكر الصابي ان الديوان كان « في الدار المعروفة بفتح القلانس »(٢٧٣) ولم اجد في المصادر اشارة الى موقع هذه الدار غير ان الديوان نقل بعدئذ الى دار الخلافة ، اذ يذكر ابو القاسم عن ابيه انه قال « كنت يوما بحضرة ابي العباس بن الفرات في الديوان في دار السلطان اذ جاءه خادم . . »(٢٧٤)

ثم نقل الديوان الى دار الوزارة بالمخرم ، كما سنذكر فيما بعد .

اما في الازمنة المتأخرة فيذكر ابن الجوزي انه في سنة ٥٥٦ « كان الديوان بجنب الدار التي يسكنها الوزير ابن هبيرة قبل ان ينتقل هذا الوزير ابن صدقة »(٢٧٥) ويذكر ايضا انه على اثر فيضان سنة ٥٦٩ كثر النزيز بدار الخلافة ، فكان الخليفة يخرج من باب الفردوس الى ناحية الديوان ويمضي الى الجامع(٢٧٦) .

الوزارة :

انشأ العباسيون في بداية توليهم الخلافة منصب الوزارة وجعلوها اعلى مؤسسة ادارية في الدولة بعد الخلافة . وكان اختيار الوزير وعزله بيد الخليفة ، وقد اختلفت المدة التي قضاها كل منهم في الوزارة ، فبعضهم اشغلها لمدة قصيرة تقل عن السنة ، وبعضهم ظل يشغلها عدة سنوات ، كما ان بعضهم اعيد الى الوزارة اكثر من مرة . وكانوا يختارون من حيث العموم من ذوي المكانة في الادارة والبلاط وقد نكب بعضهم بعد عزله ، ولكن اغلبهم كان يمتلك ثروات كبيرة وضياع واسعة .

ولم تكن سلطات كافة الوزراء واحدة ؛ فبعضهم تمتع بسلطات ادارية واسعة وبعضهم لم يعط الا سلطات محدودة ، حتى ان الماوردي ، وهو من اعظم من بحث النظم الادارية العباسية ، صنف الوزارة صنفين رئيسين ، اولهما وزارة التفويض التي يمارس فيها الوزير كافة سلطات الخليفة في الادارة ، ما عدا حق تعيين ولي العهد او عزل الخليفة ، والثاني وزارة التنفيذ الذي تقتصر سلطته فيها على تنفيذ اوامر الخليفة وقراراته .

---

(٢٦٦) الخطيب ٨٩/١ .
(٢٦٧) البلدان ٢٤٥ .
(٢٦٨) الخطيب ٨٩/١ .
(٢٦٩) البلدان ٢٦٠ .
(٢٧٠) البلدان ٢٦١ .
(٢٧١) البلدان ٢٦٧ .

(٢٧٢) الوزراء للصابي ٢٠٤ وانظر ايضا ١٠٦ .
(٢٧٣) كذلك ١٣٧ .
(٢٧٤) كذلك ٢٠٦ .
(٢٧٥) المنتظم ١٩٩/١٠ .
(٢٧٦) المنتظم ٢٤٥/١٠ .

ولكنه حتى في هذه الحالة كان يتمتع بسلطات واسعة . ومن حيث العموم فان مدى سلطات الوزير تتوقف على شخصية الخليفة ومقدار ما يمنحه للوزير من الحقوق .

وكانت الوزارة منذ بداية نشأتها وثيقة الصلة بالدواوين ، لان الوزير هو المسؤول الاول عن ادارتها كما ان كثيرا ممن وليها ، وخاصة في القرن الثالث واوائل القرن الرابع ، كانوا في الاصل من كتاب الدواوين .

وكان الوزراء في خلافة ابي جعفر المنصور ذوي سلطة سياسية وادارية محدودة في الدولة ، وكان معظمهم يتحاشى ان يلقب بالوزير ، كما ان الكتب كثيرا ما كانت تطلق عليه لقب « الكاتب » ثم ازدادت اهميتهم منذ ان ولى المهدي الخلافة ، واستمرت هذه الاهمية عموما حتى سنة ٣٢٤ حين انشيء منصب امير الامراء « وبطل منذ يومئذ امر الوزارة فلم يكن الوزير ينظر في شيء من امر النواحي ولا الدواوين ولا الاعمال ، ولا كان له غير اسم الوزارة فقط ، وان يحضر في ايام المواكب دار السلطان بسواد وسيف ومنطقة ويقف ساكتا ، وصار ابن رائق وكاتبه ينظران في الامر كله ، وكذلك كل من تقلد الامارة بعد ابن رائق الى هذه الغاية ، وصارت اموال النواحي تحمل الى خزائن الامراء فيأمرون وينهون فيها وينفقون كما يرون ويطلقون لنفقات السلطان ما يريدون ، وبطلت بيوت الاموال »(٢٧٧) .

لم تذكر المصادر مركز عمل الوزير او من يقوم بعمله ، في زمن كل من ابي جعفر المنصور ، والمهدي ، والهادي . ولكنها ذكرت اماكن سكن معظم من اشغل منصب الوزارة او الاشراف على الدواوين ، ففي خلافة المنصور اشغلها كل من خالد بن برمك وعبد الملك بن حميد وابو ايوب الورياني ، والربيع بن يونس ، فاما خالد بن برمك فان الخطيب يذكر ان « منازل البرامكة بالقرب من قطيعة الانصار »(٢٧٨) . ويذكر الجهشياري « كان خالد بن برمك ينزل بالشماسية في الموضع المعروف بسويقة خالد ، وهو اقطاع من المهدي(٢٧٩) ويذكر اليعقوبي الطرق التي تتفرع من الجسر في الجانب الشرقي ومنها « طريق ذات اليسار الى باب البردان ، وهناك منزل خالد بن برمك وولده »(٢٨٠) ومن الواضح ان الجهشياري واليعقوبي يشيران الى اقطاع واحد هو الذي في الجانب الشرقي ، وهو الذي يذكر الجهشياري انه اقطاع من المهدي . اما الاقطاع الذي ذكره الخطيب ، وموقعه جنوبي المدينة المدورة وخارجها وبالقرب من اقطاعات معظم اصحاب الدواوين في زمن المنصور ، فهو فيما يظهر اقطاع من المنصور .

اما ربض عبد الملك بن حميد(٢٨١) وربض ابي ايوب الانصاري(٢٨٢) فيقعان في شمالي المدينة المدورة خارجها . ولابد ان منازل كل منهما كانت تقع في ربض .

اما الربيع بن يونس فان قطيعته كانت في الكرخ وهي مشهورة(٢٨٣) .

ويتبين من هذا ان قطائع الذين اشغلوا منصب الوزارة او قاموا بعملها في زمن ابي جعفر ، كانت كلها في الجانب الغربي وبالقرب من المدينة المدورة وخارجها .

اما في خلافة المهدي ، فقد اشغل منصب الوزارة او عملها كل من ابي عبيد الله معاوية ، ويعقوب بن داود ، وعمر بن تهمان ، والربيع بن يونس ، والفيض بن صالح فاما عمر بن تهمان والفيض بن صالح فلم اجد ذكر اقطاع لاي منهما ، واما الربيع بن يونس فقد ذكرنا قطيعته في الجانب الغربي ، اما ابي عبيدالله فكانت له سويقه في الجانب الشرقي(٢٨٤) ولعلها نشأت في اقطاعه وان مسكنه كان هناك .

واما يعقوب بن داود فكانت له في الجانب الشرقي(٢٨٥) قطيعة ورحبة(٢٨٦) .

ويلاحظ ان المهدي جعل مقره ودواوينه في الجانب الشرقي .

اما في خلافة موسى الهادي القصيرة الامد ، فقد كان الوزير هو الفيض بن صالح الذي اشرنا من قبل الى عدم ذكر المصادر محل سكناه .

وفي زمن الرشيد هيمن على الوزارة يحيى

---

(٢٧٧) تجارب الامم ٣٥٢/١ .
(٢٧٨) الخطيب ٨٩/١ .
(٢٧٩) الوزراء والكتاب ١٨٩ .
(٢٨٠) البلدان ٢٥٤ .
(٢٨١) الخطيب ٨٥/١ .
(٢٨٢) البلدان ٢٤٨ .
(٢٨٣) الخطيب ٨٨/١ .
(٢٨٤) الخطيب ٩٣/١ .
(٢٨٥) البلدان ٢٥٢ .
(٢٨٦) الخطيب ٩٣/١ .

البرمكي واولاده . فاما يحيى فكان له قصر الطين الذي بناه بباب الشماسية(٢٨٧) ، واما جعفر بن يحيى فكانت داره في سويقه جعفر(٢٨٨) وهي بالقرب من باب الطاق واما الفضل بن يحيى فلم اجد في المصادر ذكراً لمكان مسكنه . ويلاحظ ان يحيى بن خالد كان يقيم في اول خلافة الرشيد في قصر الخلد مع الخليفة .

ولما نكب الرشيد البرامكة ولـي الوزارة الفضل بن الربيع الذي ظل يشغلها طوال خلافة الامين . ولم تذكر المصادر محل سكناه ، ولعله كان يسكن في قطيعة الربيع .

اما في خلافة المأمون فقد اشغل الوزارة ببغداد كل من الحسن بن سهل واحمد بن ابي خالد ، واحمد بن يوسف بن القاسم ، وابو عباد ثابت بن يحيى بن يسار وابو عبدالله محمد بن يزداء . ولم اجد ذكرا لمنازل هؤلاء الا الحسن بن سهل الذي سكن القصر الحسني الذي اصبح فيما بعد من ابنية دار الخلافة .

ولما اعاد العباسيون مقر خلافتهم الى بغداد تعاقب على الوزارة حتى سنة ٣٣٤ ست وعشرون وزيرا ، فمنهم عدد ينتمي الى اسرة واحدة ، فقد ولى من آل وهب كل من سليمان بن وهب (٢٥٥ ، ٢٦٣ ـ ٥) وعبدالله بن سليمان بن وهب (٢٧٧ ـ ٢٨٨) والقاسم بن عبيدالله (٢٨٨ ـ ٢٩١) ومحمد بن القاسم بن عبيدالله (٣٢١) .

ووليها من آل مخلد كل من الحسن بن مخلد (٢٦٤) وابنه سليمان (٣١٨ ـ ٣١٩ ، ٣٢٤ ، ٣٢٨ ـ ٣٢٩)

ووليها من ال الفرات كل من علي بن محمد بن الفرات (٢٩٦ ـ ٢٩٩ ، ٣٠٤ ـ ٦ ، ٣١١ والفضل بن جعفر بن الفرات ٣٢٠ ، ٣٢٤ ـ ٦ ، ٣٢٧) .

ووليها من ال الخاقاني كل من محمد بن عبيد الله الخاقاني (٢٩٩ ـ ٣٠١) وابنه عبيدالله (٣١٢ ـ ٣١٣) .

ووليها علي بن عيسى الجراح (٣٠١ ـ ٣٠٤، ٣١٤ ـ ٣١٦) واخوه عبد الرحمن بن عيسى (٣٢٤) .

ووليها كل من احمد بن صالح بن شيرزاد (٢٧٧) والعباس بن الحسن الجرجرائي (٢٩١ـ٦)

وحامد بن العباس (٣٠٦ ـ ٣١١) واحمد بن عبيد الله الخصيبي (٣١٣ ـ ٤) (٣٢١ ـ ٢) ومحمد بن علي بن الحسن بن مقلة (٣١٦ـ٨ ، ٣٢٠ـ١ ، ٣٢٢ـ٤ ، ٣٢٦ـ٧ ، ٣٣١ـ٢) واحمد بن محمد البريدي (٣٢٧ ـ ٨ ، ٣٢٩ ، ٣٣٠) وكذلك كل من اسماعيل بن بلبل (٢٦٥ ـ ٢٧٧) وعبيدالله بن محمد الكلواذاني (٣١٩) والحسين بن القاسم (٣١٩ ـ ٢٠) ومحمد بن القاسم الكرخي (٣٢٤ ، ٣٢٩) واحمد بن محمد بن ميمون (٣٢٩) ومحمد بن احمد الاسكافي (٣٢٩ ، ٣٣٠) وابو عبدالله الكرخي (٣٢٩ ـ ٣٠) ومحمد بن علي السامري (٣٣٣ ـ ٤)(٢٨٩) .

لم اجد في المصادر ذكرا لمنازل الثمانية الاخيرين اما الذين قبلهم فان دار البريدي كانت بسوق يحيى(٢٩٠) ودار ابن مقلة في الزاهر(٢٩١) ودار الخصيبي في قنطرة الانصار(٢٩٢) ودار حامد بن العباس في المخرم(٢٩٣) ودار العباس بن الحسن الجرجرائي « الى دجلة وظهرها الى البستان المعروف بالزاهر »(٢٩٤) ودار احمد بن صالح بن شيرزاد بالدور مما يلي قصر جعفر بن يحيى بن خالد(٢٩٥) وهي قرب دار طازاد التي في قصر فرج على شاطىء دجلة(٢٩٦) ودار علي بن عيسى بسوق العطش(٢٩٧) ودار الخاقاني بباب الشماسية(٢٩٨) ودار ابن الفرات بسوق العطش(٢٩٩) ودار سليمان بن الحسن بباب المحول(٣٠٠) .

دار الوزارة :

يتردد في المصادر ان الوزارة وخاصة في عهد خلافة المقتدر كان مقرها في دار سليمان بن وهب الذي كان ينحدر من اسرة تتابع افرادها في الكتابة في العصرين الاموي والعباسي . وقد اصبح سليمان

(٢٨٧) معجم البلدان ١١٤/٤ .
(٢٨٨) الوزراء والكتّاب للجهشياري ٢٤١ .

(٢٨٩) اعتمدت في هذه القائمة على كتاب « المؤسسات الادارية » لحسام الدين قوام الدين .
(٢٩٠) الصولي : اخبار الراضي والمتقي ١٤٠ تجارب الامم ١٧/٢ ، ٢٠ ، ٢٤ .
(٢٩١) الصولي ٨١ تكملة الطبري ١٠٥ ، ١١٧ .
(٢٩٢) الصولي ١٥٢اب مخطوطة الازهر .
(٢٩٣) تكملة الطبري ٣٠ .
(٢٩٤) الصولي ١٦ .
(٢٩٥) الطبري ١٠٦٣/٣ .
(٢٩٦) تجارب الامم ٧٨/١ .
(٢٩٧) تجارب الامم ٧١/١ المنتظم ١٣٨/٦ .
(٢٩٨) الصولي ٥٧١ مخطوطة الازهر .
(٢٩٩) تجارب الامم ٧/١ ، ٩١ .
(٣٠٠) الصولي ٨١ .

بن وهب كاتبا للحسن بن سهل وللمأمون ثم ولى الوزارة للمهتدى في سنة ٢٥٥ ثم عزل واعيد تعيينه سنة ٢٦٣ ــ ٢٦٤ ، ثم عزله الموفق واعاده بعد فترة فظل في الوزارة سنة ٢٦٤ ــ ٢٦٥ وقد ساهم في الاحداث في زمنه ، وقد غضب عليه المعتمد في سنة ٢٦٤ وحبسه ثم اطلق سراحه ، ولكنه في السنة التالية « امر ابو احمد بحبس سليمان بن وهب وابنه عبيدالله ، فحبسا وعده من اسبابهم في دار ابي احمد ، وانتهبت دور عدة من اسبابه ووكل بحفظ داري سليمان وابنه عبيدالله ، وامر بقبض اموالهما واموال اسبابهما وضياعهم خلا احمد ابن سليمان ، ثم صولح سليمان وابنه عبيد الله على تسعمائة الف دينار ، وصيرا في موضع يطل اليهما »(٣٠١) وقد ظل سليمان في حبس الموفق حتى توفي سنة ٢٧٢(٣٠٢) .

وقد ذكر الخطيب اصل هذه الدار حيث قال نقلا عن ابن عرفه « واما شاطيء دجلة من الجانب الشرقي فاوله بناء الحسن بن سهل وهو قصر الخليفة في هذا الوقت .

ودار دينار
دار رجاء بن ابي الضحاك
ثم منازل الهاشميين
ثم قصر المعتصم وقصر المأمون
ثم منازل ال وهب ، الى الجسر كانت اقطاعا

لناس من الهاشميين ومن حاشية الخلفاء »(٣٠٣) .

ومن الواضح ان الجسر المذكور في هذا النص هو الذي يتصل بباب الشعير في الجانب الغربي(٣٠٤)، وان هذه المنازل تقع جنوبي الجسر ، وانها كانت قرب قصري المعتصم والمأمون ، وهي تبعد مسافة عن دار الخلافة ، حيث تقع بينهما عدة دور . ومع ان نص الخطيب لا يذكر صراحة دار سليمان بن وهب ، الا ان سياق الكلام يقتضي ان هذه الدار هي المقصودة ، او هي الرئيسة من دور آل وهب .

ويتضح من نص الخطيب ان منازل آل وهب كانت في الاصل اقطاعا لبعض الهاشميين ، ولعل آل وهب حصلوا عليها في خلافة المأمون ، ولابد ان

(٣٠١) الطبري ١٩٣٠/٣ .
(٣٠٢) الطبري ٢١٠٨/٣ .
(٣٠٣) الخطيب ٩٨/١ ويلاحظ ان رجاء بن ابي الضحاك هو ابن عم الحسن بن سهل (الطبري ٩٩٣/٣) وكان مقربا الى المامون (الطبري ٩٩٥/٣ ، ١٠٠٠) .
(٣٠٤) افردنا لجسور بغداد بحثا خاصا نرجو ان ننشره قريبا .

سليمان لم يسكن فيها كثيرا لانه خدم واستوزر للخلفاء العباسيين في سامراء الذين لم يعودوا الى بغداد الا سنة ٢٧٨هـ ، اي بعد وفات سليمان بعدة سنوات .

لم تذكر المصادر مصير دار سليمان بعد حبس صاحبها ، ولعلها عادت اليه بعد مصالحته ، ولعله اشغلها من بعده ابنه عبيدالله بن سليمان بن وهب الذي ظل في الوزارة من سنة ٢٧٧ الى سنة ٢٨٨ ، اي طوال السنوات العشر الاولى من عودة الخلفاء الى بغداد واتخاذهم مقرا في قصر الحسن بن سهل. والراجح ان هذه الدار انتقلت الى القاسم بن عبيد الله اعقب اباه في الوزارة وظل فيها الى وفاته سنة ٢٩١ ، ولعلها كانت خلال وزارة سليمان وابنه وحفيده مركز الوزارة .

وقد صارت هذه الدار للعباس بن الحسن الذي اعقب القاسم بن عبيدالله في الوزارة وظل فيها من سنة ٢٩١ ــ ٢٩٦ ، فلما عزل المقتدر العزلة الاولى سنة٢٩٦انصرف العباس بن الحسن «الى المخرم وجلس في دار سليمان بن وهب»(٣٠٥) ويبدو ان هذه الدار قد اصبحت دار الوزارة ، اذ ان الهمداني يذكر ان العباس عاد الى « دار الوزارة بالمخرم »(٣٠٦) .

ولما ولى ابن الفرات الوزارة بعد العباس ، اقطعه المقتدر هذه الدار ، فيذكر الصابي « وانتقل ابو الحسن (علي) بن الفرات من بعد ذلك الى ما اقطعه المقتدر بالله من دار سليمان بن وهب بباب المخرم على دجلة وما يجاورها من دار ابراهيم بن سليمان ، والاصطبل الذي كان للسلطان ، والدور التي كانت في يد داية المكتفي بالله ، ومساحة ذلك مائة الف وثلاثة وسبعون الفا وثلاثمائة وستة واربعون ذراعا ، وغير ذلك وجدده ، وانشأ المجالس الجليلة والابنية الحسنة ، وعمل للدار مسناة مشرفة على دجلة »(٣٠٧) .

ويتبين من هذا ان رقعة دار الوزارة اصبحت ٤٠٢×٤٢٠ ذراعا اذ افترضنا انها كانت مربعة المساحة ، وانها كانت تشمل دور كل من سليمان ، وابراهيم ، وداية المكتفي بالاضافة الى اصطبل السلطان ، اي ان دار سليمان بن وهب صارت بعض دار الوزارة ، غير ان المصادر لا تذكر موقع دار سليمان من دار الوزارة الجديدة .

(٣٠٥) تكملة الطبري ٥ .
(٣٠٦) تكملة الطبري ٦ .
(٣٠٧) الوزراء للصابي ٢٨ ــ ٢٩ .

ويبدو ان حامداً بن العباس اشغل هذه الدار في وزارته ، ثم اقطعهـــا المقتـــدر بالله ابنـــه ابا العباس(٣٠٨) ، غير ان ابن الفرات لما عاد الى الوزارة « سأل ان يعاد الى داره بالمخـــرم ، وكانت اقطعت للامير ابي العباس ، فاذن له المقتدر في ذلك ، وكان ذلك في سنة ٣١١(٣٠٩) ، ويدل هذا النص ان هذه الدار كانت ملكيتها للخليفة ، وان اقطاعها لابنه لم يقصد منه نقل ملكيتها الى ابي العباس . غير ان المصادر لم تذكر كيف آلت ملكية هذه الدار الـى الخليفة .

ويروى الصابي عن ابي القاسم بن زنجي « سمعت ابا الحسن بن الفرات يقول في وزارته الثالثة في سنة ٣١١ انه اتفق على الدار التي كان ينزلها في ذلك الوقت وفيها قبض عليه ، وهي دار سليمان بن وهب ، وموقعها في المخرم ، وفي يد الحـــاجب الكبير ابي منصور سبكتكين الان شيء منها ، وفي يد ابن لشكرون شيء آخر ، وفي ايدي قوم من قواد الديلم الباقي « ثلاثمائة الف دينار »(٣١٠) .

وقد ظلت هذه الدار تحتفظ بنسبتها الى صاحبها الاول فتسمى دار سليمان ابن وهب(٣١١) . ونظرا لطول اقامة ابن الفرات فيها وما ادخله من تعميرات عليها ، فقد سميت ايضا في بعض المصادر دار ابن الفرات(٣١٢) ثم انها باعتبارها مقر الوزارة، كانت تسمى ايضا دار الوزارة(٣١٣) .

وتقع هذه الدار بباب المخـــرم(٣١٤) علـى دجلة(٣١٥) ، عند الجسر . ويذكر ابن عرفه ما يدل على ان الجسر كان شماليها(٣١٦) . غير ان الصولي يذكر انها « فوق الجسر »(٣١٧) وهذا النص الغامض قد يدل على انها في جنوبي الجســـر ، او انها في شماليه ، فان كان الاخير فانه يدل على ان الجسر قد حول بعد ابن عرفه الى الجنوب وعند هذه الدار تقع مشرعة الصخر(٣١٨) . ولما كانت هذه الـــدار اصبحت لسبكتكين ، ثم صارت دار المملكة ، كما سنذكر فيما بعد ، ولما كانت دار المملكة « محاذية للفرضة »(٣١٩) فتكون الفرضة قرب مشرعة الصخر او لعلها هي نفس المشرعة .

ولما كانت هذه الدار مقر الوزارة ، فقد كان يمارسون اعمالهم فيها ، وقد تردد ذكر ذلك في المصادر ، فيذكر مسكويه ان علي بن عيســى في وزارته سنة ٣٠٣ « صار ينظر في الاعمال في دار الوزارة بالمخرم »(٣٢٠) ويذكر ايضا ان ابا القاسم الكلواذاني لما ولى الوزارة « صار ينظر في الاعمال في دار الوزارة بالمخرم »(٣٢١) ويذكر الصابي ان علـى ابن عيسى في وزارته الثانية سنة ٣٠٣ صار الى « دار الوزارة بالمخرم وقد جعلها ديوانا »(٣٢٢) كما يقول انه لما وزر سنة ٣٠٣ « اقام في هذه الدار ثم نقل الدواوين اليها »(٣٢٣) ويبدو من هذا النص ان الدواوين لم تكن في دار الوزارة حتى نقلها اليها علي بن عيسى .

يذكر مســـكويه(٣٢٤) والصـــابي(٣٢٥) ان ابن الفرات اقطع هذه الدار ، غير ان المعلومات المتوفرة في المصادر تدل على ان هذه الدار كانت مقر الوزارة ويسكنها الوزراء خلال اشـــغالهم ذلـــك المنصب فحسب ، وان ملكيتها تعود الى الدولة .

كانت دار الوزارة بالمخرم واسعة ، فيها عدة بيوت ، ذكرت المصادر منها «بيت يعرف بالدمشقي» كانت فيه سجلات بلغت حتى السقف(٣٢٦) ، كمـــا كانت فيها دار للمستخرج ابن بعد شر(٣٢٧) ، وفيها ايضا الدار الجديدة(٣٢٨) .

وفي دار الوزارة ايضا كانت دار البستان التي يذكر الصابي ان ابن الفرات في وزارته الثالثـــة (سنة ٣١١) « اشتهى في وزارته هذه ان يجمـــع

---

(٣٠٨) تكملة الطبري ٢١ ، ٣٢ .
(٣٠٩) تكملة الطبري ٦٩ .
(٣١٠) الوزراء للصابي ١٩٩ .
(٣١١) الوزراء ٣٦ ، ١٩٩ ، ٢١٤ ، ٢٣٠ ، ٣٠٦ تجارب الامم ٥ الصولي ١٥٢ب (مخطوطة الازهر) .
(٣١٢) الصـــولي ١١٥ أ ، ١٣٣ ب ، ١٥٢ ب (مخطوطـــة الازهر) تجارب الامم ٤١/١ ، ٩١ .
(٣١٣) تجـــارب الامم ٢٧/١ ، ٥٩ ، ١٣٢ ، ١٣٨ ، ١٤٩ الوزراء للصابي ٦٩ ، ٣٣٥ ، ٣٦٨ .
(٣١٤) تجـــارب الامم ٥/١ ، ٥٩ ، ١٣٢ ، ١٤٩ ، ١٥٣ ، ٢٧١ .
(٣١٥) الوزراء للصابي ٢٨ .
(٣١٦) الخطيب ٩٨/١ .
(٣١٧) الصولي ١٣٣ب (مخطوطة الازهر) .
(٣١٨) الصولي ١٥٢ب ويقول ابن الجوزي ان بهاء الدولة نقل اخته زوجة الطائع الى دار في مشرعة الصخر (المنتظم ١٦٣/٧) ولعله نقلها الى هذه الدار .
(٣١٩) المنتظم ٧٧/٧ .
(٣٢٠) تجارب الامم ٢٧/١ .
(٣٢١) كذلك ١٤٩/١ .
(٣٢٢) الوزراء ٤٦٨ .
(٣٢٣) كذلك ٣٦٨ .
(٣٢٤) تجارب الامم ٤١/١ ، ٥٣ .
(٣٢٥) الوزراء ٢٨ .
(٣٢٦) الوزراء ٢٣٠ .
(٣٢٧) تكملة الطبري ٤٥ .
(٣٢٨) الوزراء ٢١٤ .

حرمه وبنات اخوته واصاغر ولده في الدار المعروفة بدار البستان المعروفة بدار سليمان ابن وهب ، فتقدم باصلاحها وتنظيفها وانفاق ما يحتاج اليه من تبييضها ، فبلغت النفقة خمسين الف دينار ، وجلس وهم فيها يوما واحدا ، ولم يعد بعد ذلك الى الجلوس معهم فيها »(٣٢٩) .

وكانت نفقات « من يرسم دار الوزارة من خلفاء الحجاب والبوابين واصحاب الرسائل وانزال الفرسان والرجالة عشرين الف دينار »(٣٣٠) .

ظلت دار الوزارة هذه حتى سنة ٣٢١ حين « خرج امر القاهر ببيع دار المخرم التي كانت برسم الوزارة ، وكانت قديما لسليمان بن وهب فقطعت وبيعت من جماعة من الناس لان ذرعها يشتمل على اكثر من ثلاثمائة الف ذراع ، وصرف عنها من مال الصلة لبيعة القاهر »(٣٣١) .

ويذكر الصابي في كلامه عن هذه الدار « وفي يد الحاجب الكبير منصور سبكتكين الان شيء منها وفي يد ابن لشكره شيء آخر ، وفي ايدي قوم من قواد الديلم الباقي »(٣٣٢) .

ولما دخل البويهيون بغداد ، صاروا يمارسون الحكم والادارة بانفسهم فلم يعد للخليفة الا الاسم ، ثم انهم وزعوا العراق اقطاعات ، فبطلت العمارات واغلقت الدواوين ومحى اثر الكتابة والعمالة(٣٣٣) .

دار المملكة :

وقد شيد معزالدولة له قصرا في اعلى الشماسية ، اما عزالدولة فبنى له قصرا في الحريم الطاهري ، فلما جاء عضد الدولة اعاد تعمير المكان الذي كانت فيه دار الوزارة قديما وسماها دار المملكة .

ويقول الصابي « طورد عضد الدولة والامر جار على ذلك لعز الدولة ، فسأل الطائع لله الاذن له في ضرب الطبل على باب داره بالمخرم التي هي اليوم دار المملكة وكانت من قبله لسبكتكين الحاجب ، ففعل ذلك »(٣٣٤) .

اما دار المملكة فالمقصود بها ما بناه المعتضد ، وقد وصفها هلال بن المحسن حيث قال : كانت دار المملكة التي باعلى المخرم محاذية الفرضة قديما لسبكتكين غلام معز الدولة فنقض عضد الدولة اكثرها ، ولم يستبق الا البيت الستيني الذي هو في وسط اروقة من ورائها اروقة ، في اطرافها قباب معقودة ، وتتفتح ابوابه الغربية الى دجلة وابوابه الشرقية الى صحن من خلفه بستان ونخل وشجر . وكان عضد الدولة جعل الدار التي هذا البيت فيها دار العامة ، والبيت برسم جلوس الوزراء وما يتصل به من الاروضة والقباب . مواضع للدواوين ، والصحن مناما لديلم النوبة في ليالي الصيف .

قال هلال : وهذه الدار وما تحتوي عليه من البيت المذكور والاروقة خراب ولقد شاهدت مجلس الوزراء من ذلك ومحفل من يقصدهم ويحضرهم ، وقد جعله جلال الدولة اصطبلا اقام فيه دوابه وسواسه . واما بناء عضد الدولة وولده بعده في هذه الدار فهو متماسك على تشعثه(٣٣٥) .

وينقل الخطيب عن القاضي ابي القاسم التنوخي عن ابيه « حاشيت الملك عضد الدولة في دار المملكة بالمخرم التي كانت دار سبكتكين حاجب معز الدولة من قبل ، وهو يتأمل ما عمل وهدم منها ، وقد كان اراد ان يترك في الميدان السبكتكين اذرعا ليجعله بستانا ويرد بدل التراب رملا ويطرح التراب تحت الروشن على دجلة ، وقد ابتاع دورا كثيرة كبارا وصغارا ونقضها ورمى حيطانها بالفيلة تخفيفا للمؤنة ، واضاف عرصتها الى الميدان ، وكانت مثل الميدان دفعتين ، وبنى على الجميع مسناة .. فلما فرغ من ذلك وصار البستان ارضا بيضاء لا شيء فيها من غرس ولا نبات : قال : « قد انفق على هذا حتى صار كذا اكثر من الفي الف درهم صحاحا ، ثم فكر في اذ يجعل شرب البستان من دواليب ينصبها على دجلة ، وعلم ان الدواليب لا تكفي ، فاخرج المهندسين الى الانهار التي في ظاهر الجانب الشرقي من مدينة السلام ليستخرجوا منها نهرا يسيح ماؤه الى داره ، فلم يجدوا ما اراده الا في نهر الخالص ، فعلى الارض بين البلد وبينه تعالية امكن معها ان يجري الماء على قدر من غير ان يحدث به ضرر ، وعمل تلين عظيمين يساويان سطح ماء الخالص ، ويرتفعان عن ارض الصحراء اذرعا ، وشق من وسطهما نهراً جعل له خورين من جانبيه ، وداس الجميع بالفيلة دوسا كثيرا حتى قوى واشتد وصلب وتلبد ، فلما بلغ الى منازل البلد واراد سوق النهر الى داره ، عمد

(٣٢٩) الوزراء ١٩٩ .
(٣٣٠) تجارب الامم ١٥٦/١ .
(٣٣١) تجارب الامم ٢٥٨/١ تكملة الطبري ٧٥ .
(٣٣٢) الوزراء ١٩٩ .
(٣٣٣) تجارب الامم ٩٨/٢ .
(٣٣٤) رسوم دار الخلافة ١٣٧ .

(٣٣٥) الخطيب ١٠٥/١ المنتظم ٧٨/٧ .

الى درب السلسلة فدك ارضه دكا قويا ، ورفع ابواب الدور واوثقها ، وبنى جوانب النهر طول البلد بالاجر والكلس والنورة ، حتى وصل الماء الى الدار وسقى البستان .

قال ابي وبلغت النفقة على عمل البستان وسوق الماء اليه على ما سمعته من حواشي عضد الدولة خمسة الاف الف درهم . ولعله قد انفق على ابنية الدار على ما اظن مثل ذلك ، وكان عضد الدولة عازما على ان يهدم الدور التي بين داره وبين الزاهر ، ويصل الدار بالزاهر ، فمات قبل ذلك »(٣٣٦) .

ويقول ابن الجوزي انه في سنة ٣٧١ امر عضد الدولة بحفر نهر من عمود الخالص وسياقه الماء الى بستان داره فبدىء في ذلك ، وحشر الرجال لعماله »(٣٣٧) .

ويقول ايضا انه في سنة ٣٧٢ « في المخرم فتح الماء الذي استخرجه عضد الدولة من الخالص الى داره وبستان الزاهر »(٣٣٨) ويذكر ايضا ان عضد الدولة « غرس الزاهر وهو دار ابي علي بن ملقه وكانت قد صارت تلا »(٣٣٩) .

ففي سنة ٣٧٩ توفي شرف الدولة ، فركب « الطائع لله الطيار وسار الى دار المملكة بالمخرم لتعزية ابي نصر (بهاء الدولة) ، وقد رد بهاء الدولة الزيارة للخليفة ثم عاد الى دار المملكة »(٣٤٠). ولما عزل الطائع « اصعد به الى الخزانة في دار المملكة »(٣٤١) ويلاحظ ان بهاء الدولة نقل اخته زوجة الطائع لله الى دار بمشرعة الصخر القريبة من دار المملكة(٣٤٢) .

ولما جاء جلال الدولة بغداد سنة ٤١٨ دخل دار المملكة(٣٤٣) ، وفي السنة التالية حاصرها الجند(٣٤٤) ، ثم لما اضطربت بغداد على جلال الدولة « نقل السلطان ماله من كراع الى دار المملكة ، وعملت هناك المعالف »(٣٤٥) .

وفي سنة ٤٢٧ « نهب الجند دار المملكة وابوابها وساجها ، ورتبوا فيها حفظة فكانت الحفظة تخربها نهارا ، وتنقل ما اجتمع من ذلك ليلا »(٣٤٦) .

ولما توفي جلال الدولة ، « دفن في بيت دار المملكة في بيت كان قد دفن فيه عضد الدولة وبهاء الدولة قبل نقلهما ، ثم نقل تابوته الى تربتهم في مقابر قريش »(٣٤٧) .

ولما ورد طغرلبك بغداد نزل دار المملكة وتفرق عسكره في دور الاتراك(٣٤٨) .

دار المملكة في العهد السلجوقي :

يذكر الخطيب « ولما ورد طغرلبك الغزي بغداد واستولى عليها ، عمر هذه الدار (دار المملكة التي بناها عضد الدولة) وجدد كثيرا مما كان ، وهي منها ، في سنة ٤٤٨ »(٣٤٩) .

واورد ابن الجوزي عن عمل طغرلبك تفاصيل اوفى حيث ذكر في حوادث سنة ٤٤٨ « وفي هذه السنة ابتدأ السلطان طغرلبك ببناء سور عريض دخل فيه قطعة كثيرة من المخرم ، وعزم على بناء دار فيها وجمع الصناع لتجديد دار المملكة العضدية ، وخربت الدور والدروب والمحال والاسواق بالجانب الشرقي وجميع ما يقارب الدار واخذت الانهار للاستعمال ، ونقضت دور الاتراك وسلت اخشابها بالجانب الغربي ، وقلع الفقراء اخشاب الدور وباعوه على الخبازين والفراشين »(٣٥٠) .

وقد نقل سبط ابن الجوزي رواية جده مع بعض الاختلافات حيث قال في حوادث سنة ٤٤٨ « ابتدأ طغرلبك بعمارة سور عريض على داره ، دخل فيه قطعة كبيرة من المخرم ودار الفيل ، وجمع الصناع لتجديد دار المملكة العضدية ، وبنى عليها ابراج ، وخربت الدور والاسواق المجاورة لها بالجانب الشرقي ، وقلعت اخشاب دور الاتراك في الجانب الغربي وحملت اليها »(٣٥١) .

---

(٣٣٦) الخطيب ١/١٠٦ - ٧ المنتظم ٧/٧٨ .
(٣٣٧) المنتظم ٧/١٠٧ .
(٣٣٨) المنتظم ٧/١١٢ .
(٣٣٩) المنتظم ٧/١١٤ .
(٣٤٠) المنتظم ٧/١٤٨ .
(٣٤١) المنتظم ٧/١٥٦ .
(٣٤٢) المنتظم ٧/١٦٣ .
(٣٤٣) المنتظم ٨/٢٨ .
(٣٤٤) المنتظم ٨/٣٥ .
(٣٤٥) المنتظم ٨/٥١ .

(٣٤٦) المنتظم ٨/٨٩ .
(٣٤٧) المنتظم ٨/١١٨ .
(٣٤٨) المنتظم ٨/١٦٥ .
(٣٤٩) الخطيب ١/١٠٦ .
(٣٥٠) المنتظم ٨/١٦٩ .
(٣٥١) مرآة الزمان ٣ (طبعة سويم ، ولعل الجسر الذي عقد في هذه السنة بين مشرعة الحطابين ومشرعة الروايا هو عمل مكمل لاعمار هذه المنطقة .

ويذكر الخطيب بعد النص الذي اوردناه اعلاه « .. فمكثت كذلك الى سنة خمسين واربعمائة ، ثم احرقت وسلب اكثر آلاتها ، ثم عمرت بعد واعيد ما كان اخذ منها »(٣٥٢) .

لم يذكر ابن الجوزي في حوادث ٤٥٠ احتراق دار المملكة ، غير انه ذكر الحوادث الجسام التي حدثت في تلك السنة ببغداد ، فقد كان طغرلبك غائبا عنها ، وقد بدأت السنة بانحلال الامن في بغداد وانقسام السلاجقة فيها ، وقطع الجسر وهو يقول « وركب رئيس الرؤساء وعميد العراق الى دار المملكة واخذ ما يصلح من السلاح ، وضربا باقي الباقي النار » ، ثم اعقب ذلك دخول البساسيري بغداد ، وعقده الجسر بباب الطاق ونزوله الزاهر ، ومحاولة الخليفة مقاومته(٣٥٣) .

اما اعادة تعميرها فلابد انه تم قبل سنة ٤٦٠هـ ، وهي السنة التي توفى فيها الخطيب .

يذكر ابن الجوزي انه في سنة ٤٨٥هـ تقدم السلطان ملكشاه « ببناء سوق المدينة المقاربة داره التي بمدينة طغرلبك ، وبنى فيها خانات الباعة وسوقا عنده دروب . . والجامع الذي تمم باخره على ايدي بهروز في سنة ٥٢٤ ، وتولى السلطان تقدير هذا الجامع بنفسه . . وجلبت اخشابه من جامع سامراء ، وكثرت العمارة بالسوق واستأجر نظام الملك بستان الجسر وما يليه من وقوف المارستان مدة خمسين سنة ، واستأجر لعمارة ذلك دارا ، واهدى اليه ابو الحسن الهروي خانه »(٣٥٤) .

فاما السوق فانه لم يبق طويلا اذ ان السلطان محمد في سنة ٤٩٦ « تقدم بنقض السوق التي استجدها جلال الدولة ملكشاه بالمدينة المعروفة بطغرلبك ، وكانت مرسومة بالصباغين بعد خروجه ، والسوق التي كان بها البزازون ايام دخوله ، والمدرسة التي بنتها تركان خاتون ، وكانوا قد انفقوا على ذلك الاموال الجمة ، فنقض ذلك كله »(٣٥٥) . ولم تذكر المصادر تجديد السوق ، غير ان ابن الجوزي يذكر انه في سنة ٥٥١ وقع حريق في سوق السلطان(٣٥٦) .

اما الجامع فان ابن الجوزي يذكر ان « ملكشاه بنى الجامع الذي يقال له جامع السلطان ببغداد »(٣٥٧) ويذكر انه في سنة ٤٩٤ « في يوم الاضحى بعث الخليفة للسلطان منبرا فنصب في دار المملكة »(٣٥٨) والمفروض من ارسال المنبر وجود جامع في دار المملكة ، غير ان ابن الجوزي نفسه يذكر انه في سنة ٥٠٢ « شرع من عمارة جامع السلطان ، واتمه بهروز الخادم »(٣٥٩) ، وكان هذا الجامع على دجلة(٣٦٠) وتقام فيه صلاة الجمعة(٣٦١) ، وله خطيب(٣٦٢) ، وفيه مقصورة(٣٦٣) .

يقول ابن الجوزي انه في سنة ٥٠٢ « شرع في عمارة جامع السلطان ، واتمه بهروز الخادم »(٣٦٤) ، ولما كانت الدلائل تشير الى وجود جامع قبل هذا التاريخ ، فالراجح ان المقصود بالنص هو اعادة تعميره ، ولعل الجامع القديم هدم سنة ٤٩٦ واشار اليه النص الذي ذكرنا باسم المدرسة التي بنتها تركان خاتون .

ويذكر ابن الجوزي انه في سنة ٥٠٢ ايضا فوض السلطان بهروز عمارة دار المملكة(٣٦٥) . وفي سنة ٥٠٩ « تكاملت عمارة الدار التي استجدها بهروز الخادم من الدار السلطانية ، وحمل اليها اعيان الدولة الفروش الحسنة والكسي الرائقة ، واستدعى القراء والفقهاء والقضاة والصوفية ، فقراوا فيها القرآن ثلاثة ايام متوالية »(٣٦٦) .

ويذكر سبط ابن الجوزي ان هذه الدار « بناها بهروز الخادم من انقاض دور الناس واستعجل في عمارتها اهل بغداد ، حتى القضاة والاشراف والاعيان ، وكانوا ينقلون الانقاض في طيالستهم ، ولما كملت امرهم بهروز ان يحملوا اليها الفرش والبسط والانية وغيرها ، فحمل الناس اليه ذلك »(٣٦٧) .

وذكر ابن الجوزي انه في سنة ٥١٥ « وقع الحريق في دار المملكة ، فاحترقت الدار التي استجدها بهروز الخادم .. وذهب من الفرش

(٣٥٢) الخطيب ١٠٦/١ .
(٣٥٣) المنتظم ١٨٩/٨ – ١٩٧ .
(٣٥٤) المنتظم ٦٠/٩ .
(٣٥٥) المنتظم ١٣٩/٩ .
(٣٥٦) المنتظم ١٦٥/١٠ .

(٣٥٧) المنتظم ٦٩/٩ .
(٣٥٨) المنتظم ١٢٤/٩ .
(٣٥٩) المنتظم ٢٥٩/٩ .
(٣٦٠) المنتظم ٥٧/١٠ .
(٣٦١) المنتظم ١٤٢/١٠ .
(٣٦٢) المنتظم ٢٤٦/١٠ .
(٣٦٣) المنتظم ١٧٩/١٠ .
(٣٦٤) المنتظم ١٥٩/١٠ .
(٣٦٥) المنتظم ١٥٩/١٠ .
(٣٦٦) المنتظم ١٨٢/١٠ مرآة الزمان ٥٦/٨ .
(٣٦٧) مرآة الزمان ٩٦/٨ .

والالات والاواني واللؤلؤ والجوهر ما يزيد قيمته على الف الف دينار وغسل غسالون التراب فظفروا بالذهب والحلي سبائك ، ولم يسلم من الدار شيء ، ولا خشبة واحدة .

وعاد السلطان الى دار المملكة وتقدم ببناء داره على المسناة المستجدة وان تعمل ازاجا استظهارا ، واعرض عن الدار التي احترقت وقال ان ابي لم يتمتع بها ولا امتد بقاؤه بعد انتقاله اليها ، وقد ذهبت اموالنا فلا اريد عمارتها »(٣٦٨).

ونقل سبط ابن الجوزي خبر هذا الحريق بالنص تقريبا في قسمه الاول الى كلمة « ولا خشبة واحدة ، ولكنه اورد القسم الثاني من النص كما يلي « وقال السلطان لا حاجة لنا الى بناء هذه الدار التي لم يتمتع بها ابي ولا طال بقاؤه ، وذهبت اموالنا وارزاقنا فيها ، يكفينا دار المملكة العتيقة »(٣٦٩) .

أما المسناة المستجدة التي بنيت الدار عليها فلم اجد عنها معلومات محددة ، ولعلها هي التي اشار اليها ابن الجوزي في كلامه عن حوادث سنة ٤٨٠ حيث قال ان فيها « جددت على الزاهر مسناة كان لها اساس قائم وغرس فيه نخل وشجر ، وسور عليها ، وذلك بأمر السلطان ملكشاه »(٣٧٠) .

وظل اسم « دار المملكة » يتردد بعد حريق ٥١٥ ، فيذكر ابن الجوزي انه في سنة ٥٣٠ «دخل داوود المملكة »(٣٧١) ، وفي سنة ٥٣٤ وصلت خاتون بنت محمد زوجة المقتفى مع اخيها مسعود «واقامت

(٣٦٨) المنتظم ٢٢٣/٩ .
(٣٦٩) مرآة الزمان ٩٦/٨ .
(٣٧٠) المنتظم ٣٩/٩ .
(٣٧١) المنتظم ٥٥/١٠ .

عنده بدار المملكة »(٣٧٢) ان عباس شحنه الذي « استدعى الى دار المملكة » في سنة ٥٤١(٣٧٣) .

غير انه منذ ذلك التاريخ ينقطع ذكر دار المملكة ، ويذكر مكانه دار السلطان ، فيذكر ابن الجوزي ان عباس شحنه « قتل في دار السلطان .. ودفن في المشهد المقابل لدار السلطان »(٣٧٤) ، ويذكر ايضا انه في سنة ٥٤٤ عاد مسعود الى بغداد « ودخل دار السلطنة(٣٧٥) ويذكر انه في سنة ٥٥٢ قرر الخليفة مقاومة السلطان شاه محمد واستعد لذلك ، وسارت بعض جنوده « فقصدوا تحت الزاهر ليدخلوا دار السلطان(٣٧٦) ، ثم « ضربت الرجال الى دار السلطان فنهبوها وكان فيها اموال كثيرة ، ونهبوا الابواب والاخشاب واخذوا الاطيار والغزلان »(٣٧٧)، ولم يعد لها ذكر بعد هذه الحوادث التي يبدو انها ادت الى تدميرها ، اذ ان البنداري يقول عن مدينة طغرلبك « وهي التي جامعها اليوم باق ، وكانت حينئذ ذات اسوار واسواق »(٣٧٨) .

ولا يخفى ان سلطان آل سلجوق زال من بغداد بعد هذه الحوادث ، وزال معه الحكم المزدوج، واصبح الحكم للخليفة وحده ، ومقره في دار الخلافة حيث كان يقيم وزراءه ويمارسون الحكم فيه وكانت دار الوزارة فيه في اواخر القرن السادس الهجري مقابل باب النوبي(٣٧٩) .

(٣٧٢) المنتظم ٨٥/١٠ .
(٣٧٣) المنتظم ١٢٣/١٠ .
(٣٧٤) المنتظم ١٢٣/١٠ .
(٣٧٥) المنتظم ١٣٨/١٠ .
(٣٧٦) المنتظم ١٧٠/١٠ .
(٣٧٧) المنتظم ١٧٥/١٠ .
(٣٧٨) دولة ابي سلجوق ١٠ .
(٣٧٩) الجامع المختصر ٩٩ ، ٢٢١ ، ٢٨٦ .